براعة الاستهلال وحسن الختام في القصائد المفتتحة أو المختتمة بالنداء في شعر أبي فراس الحمداني

إعداد

الدكتور/ نايف علي أحمد الزهراني

١٤٤٥هـ = ٢٠٢٤م.

الملخص

تُعد الأبيات التي يستهل بها الشاعر قصيدته من المواضع الكاشفة عن غرضه، وأما خاتمة القصيدة فهي أبقى في السمع وألصق بالنفس لقرب العهد بها، فإن أجاد الشاعر في هذين الموضعين كُتب لقصيدته القبول، وإن أخفق لم يكتب لها ذلك، وقد أتى هذا البحث محاولاً تلمس براعة الاستهلال وحسن الختام في القصائد التي ورد في مطلعها أو في ختامها نداء محاولاً الكشف عن علاقة هذا النداء بغرض القصيدة، وهل للغربة التي عاشها أبي فراس أثرٌ في ذلك النداء؟

وقد أتى البحث في مقدمة بينت فيها أهمية الموضوع، ودوافعه، ومنهجه وخطته.

وتمهيد: عرّفتُ فيه بالشاعر ومكانته الشعرية.

وفصل أول: خصصته لبراعة الاستهلال.

وفصل آخر: جعلته لحسن الختام.

ثم ختمته بخاتمة ضمنتها أهم نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: براعة الاستهلال، حسن الختام، النداء، أبو فراس الحمداني

abstract

The verses with which the poet begins his poem are among the places that reveal his purpose. As for the conclusion of the poem, it is more lasting in the hearing and sticks to the soul due to the proximity of the acquaintance with it. If the poet succeeds in these two places, his poem will be accepted, and if he fails, it will not be granted that. This research was undertaken in an attempt to ***define the ingenuity of the beginning and the good ending in the poems that initiate or conclude with the vocative***, trying to reveal the relationship of this vocative to the purpose of the poem and did the exile that Abu Firas lived have an impact on that vocative?

The research included an introduction that explained the importance of the topic, its reasons, its methodology and its plan.

Introduction: include introduction of the poet and his poetic status.

The first chapter: I devoted it to the ingenuity of the beginning.

And another chapter: I made it a good ending.

Then I concluded it with a conclusion that included the most important results of the research.

Keywords: the ingenuity of the beginning, the good ending, the vocative, Abu Firas Al-Hamdani

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

تعتبر الدراسة البلاغية من أسمى الدراسات، لاسيَّما إن ارتبطت بعصرٍ يُعدّ من أكثر العصور التي ازدهر فيها الشعر، وأعني بذلك العصر العباسي الذي زينت سماءَه كثيرٌ من الشخصيات البارزة في تاريخ الأدب العربي فقدمت نتاجًا أدبيًا خالدًا في أذهان الناس، ومن هذه الشخصيات شاعرنا أبو فراس الحمداني، الذي أنتج ديوانًا جمع فيه بين الفخر والفروسية من جهة، ودموع الحزن والأسى من جهة أخرى، إلا أن هذه الفروسية خُنقت خلف قضبان الأسر[1]، فماتت فروسيته وعاشت شاعريته.

وديوان أبي فراس الحمداني يعد من الشعر القوي الجزل، العذب الأنغام، الصادق العاطفة والتصوير، سجل فيه تاريخ حياته وصور فروسيته وافتخر بمآثر أسرته، ومن بين هذا الديوان اشتهرت روملياته[2]، التي تكشف عن مدى شكواه وعمق حزنه وكثرة مناداته.

وبعد أن قرأت هذا الديوان لفت نظري بعض القصائد التي استهلها أو اختتمها بالنداء، وبعدما تأملتها رأيتها تعبر عن صوت غير مسموع، وكأن الرجل قد أصيب بخيبات أمل متكررة، حيث حالت الظروف والأوضاع بينه وبين كثير من آماله وطموحاته العالية، فرأيت أن أتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة، لعلي أتوصل إلى الأسرار

---

١) أسره الروم سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة بعدما دخلوا مدينة منبج، وكان واليًا عليها، وقال في أسره ذلك أشعارًا كثيرة. ينظر: تاريخ الرسل والملوك، وصِلَة تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ، ١١/ ٣٩٣).

٢) الروميات: قصائد نظمها الشاعر خلال مدة أسره في بلاد الروم. ينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، (١/ ٨٥

البلاغية وراءه، وعلاقتها بالظروف التي مر بها الشاعر، وقد اعتمدت في هذه الدراسة على ديوان الشاعر، الذي شرحه الدكتور: خليل الدويهي، وقامت بنشره دار الكتاب العربي في بيروت، في طبعتها الأولى لهذا الديوان، عام ١٤١٢هـ، مكتفيًا في توثيق الأبيات التي استشهد بها من هذا الديوان بذكر لفظة: (الديوان) في الهامش مع ذكر رقم الصفحة.

ويتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة وفهارس، وذلك على النحو الآتي:-

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث ومنهجه.

التمهيد: وهو عبارة عن نبذة عن حياة أبي فراس الحمداني، ومكانته الشعرية.

الفصل الأول: براعة الاستهلال.

الفصل الثاني: حسن الختام.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

ثم خُتم البحث بثبت المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات، وقد اعتمدت فيه على المنهج الوصفي التحليلي، فبعد أن قمت بحصر القصائد التي استهلها أبو فراس أو اختتمها بالنداء من خلال الديوان، قمت بدراسة براعة الاستهلال وحسن الختام فيها.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

التمهيد

نبذة عن حياة أبي فراس الحمداني ومكانته الشعرية

١. حياته:

أ. اسمه ونسبه:

هو الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن محربة بن حارثة بن مالك بن عبيد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب التغلبي[١]، ابن عم سيف الدولة[٢].

ب. مولده ونشأته:

يقال إن مولده كان في سنة عشرين وثلاث مئة، وقيل: إحدى وعشرين[٣] وقد «قُتِلَ أبوه سعيد في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة»[٤]، وبالتالي فإن شاعرنا لم يهنأ بوالده أبعد من ثلاث سنوات، و«كُتُب التاريخ والأدب لا تسعفنا بشيء عن المرحلة الأولى من حياته، ولكن شعره يحدثنا بأنه خضع في هذه المرحلة لتأثير أمه التي حرصت على أن توفر له من لقنوه علوم الدين واللغة، وتاريخ العرب وأيامهم وبخاصة أيام تغلب، ومن درّسوا له شيئًا من الشعر ولا سيما شعر أهل الشام، وكذلك من علّموه الرماية، والفروسية من

١) ينظر: وفيات الأعيان، بن خلِّكَان، حققه: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، (٢/ ١١٤، ٥٨).
٢) أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي، سيد بني حمدان، ملك حلب سنة ثلاثٍ وثلاثين وثلاث مئة، أخباره كثيرة مع الشعراء، يقال: إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر، توفي بحلب سنة ستٍ وخمسين وثلاث مئة. ينظر: المرجع السابق، (٣/ ٤٠١-٤٠٥).
٣) ينظر: المرجع السابق، (٢/ ٦١).
٤) المرجع السابق.

المدربين المهرة»[1].

جـ. مكانته عند سيف الدولة:

في سنة ستٍ وثلاثين وثلاث مئة قلده سيف الدولة إمارة منبج[2]، وما حولها من القلاع[3]، وكان له من العمر ستة عشر عامًا، وقد حفظ شاعرنا تلك الفضائل لسيف الدولة فيما بعد ولم ينكرها، يقول[4]:

هَيْهَـاتَ لاَ أَجْحَـدُ النَّعْمَـاءَ مُنْعِمُهَـا خَلَفْـتَ (يَـا بْـنَ أَبِـي الْهَيْجَـاءِ) فِـيَّ أَبِـي؟

ويقول في موضعٍ آخر:[5]

لَقَـدْ فَقَـدْتُ أَبِـي، طِفْـلاً، فَكَـانَ أَبِـي، مِـنَ الرِّجَـالِ، كَـرِيمُ الْعُـودِ، نَاضِـرُهُ

فَهْـوَ ابْـنُ عَمِّـيَ دُنْيَـا، حِـينَ أَنْسِـبُهُ لَكِنَّـــهُ لِـــيَ مَـــوْلى لاَ أُنَـــاكِرُهُ

«وكان سيف الدولة يعجب جدًا بمحاسن أبي فراس، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه، ويصطنعه لنفسه، ويصطحبه في غزواته، ويستخلفه على أعماله، وأبو فراس ينثر الدر الثمين في مكاتباته إياه، ويوفيه حق سؤدده، ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته»[6]، بل حتى عند اعتداده بشجاعته وفتوته؛ فإنه ينسب الفضل في ذلك إلى سيف الدولة،

---

١) أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل، النعمان القاضي، طبعة دار الثقافة، ١٩٨٢م، (ص:٧٣).

٢) منبج: مدينة كبيرة واسعة في فضاء من الأرض، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، (٥/ ٢٠٥-٢٠٦).

٣) ينظر: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ابن العديم، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، (ص:٧٢).

٤) الديوان، (ص:٦٢).

٥) المصدر السابق، (ص:١٧٥).

٦) يتيمة الدهر، الثعالبي، (١/ ٥٧).

يقول[1]:

يَـا ضَـارِبَ الْجَـيْشِ بِـي فِـي وَسْـطِ مَفْرِقِـهِ ... لَقَـدْ ضَـرَبْتَ بِـنَفْسِ الصَّـارِمِ الغَضِـبِ
لاَ تَحْـرُزُ الـدِّرْعُ عَنِّـي نَفْـسَ صَـاحِبِهَا ... وَلاَ أُجِيـرُ ذِمَـامَ الْبِـيضِ وَالْيَلَـبِ
وَلاَ أَعُـودُ بِرُمْحِـي غَيْـرَ مُـنْحَطِمٍ ... وَ لاَ أَرُوحُ بِسَـيْفِي غَيْـرَ مُخْتَضِـبِ
حَتَّـى تَقُـولَ لَـكَ الأَعْـدَاءُ رَاغِمَـةً: ... (أَضْـحَى ابْـنُ عَمِّـكَ هَـذَا فَـارِسَ الْعَـرَبِ)

د. أهم الأحداث في حياته:

من أهم الأحداث في حياة أبي فراس الحمداني وقوعه أسيرًا في أيدي الروم، ومع ذلك فإن شجاعته وفروسيته لم تفارقه، حتى في تلك اللحظة العصيبة، وعن تلك اللحظة يتحدث، فيقول[2]:

أُسِـرْتُ وَمَـا صَـحْبي بِعُـزْلٍ، لَـدَى الْـوَغَى ... وَلاَ فَرَسِـي مُهْـرٌ، وَلاَ رَبُّـهُ غُمْـرُ!
وَلَكِـنْ إِذَا حُـمَّ الْقَضَـاءُ عَلَـى امْـرِىءٍ ... فَلَـيْسَ لَـهُ بَـرٌّ يَقِيـهِ، وَلاَ بَحْـرُ!
وَقَـالَ أُصَـيْحَابِي: (الْفِـرَارُ أَوِالـرَّدَى؟) ... فَقُلْـتُ: هُمَـا أَمْـرَانِ، أَحْلاَهُمَـا مُـرُّ
وَلَكِنَّنِـي أَمْضِـي لِمَـا لاَ يَعِيبُنِـي، ... وَحَسـبُكَ مِـنْ أَمْـرَيْنِ خَيْرُهُمَـا الأَسْـرُ
يَقُولُـونَ لِـي: (بِعْـتَ السَّـلاَمَةَ بِـالرَّدَى) ... فَقُلْـتُ: أَمَـا وَاللهِ، مَـا نَـالَنِي خُسْـرُ
وَهَـلْ يَتَجَـافَى عَنِّـيَ الْمَـوْتُ سَـاعةً، ... إِذَا مَـا تَجَـافَى عَنِّـي الأَسْـرُ وَالضُّـرُّ؟
هُـوَ الْمَـوْتُ، فَـاخْتَرْ مَـا عَـلاَ لَـكَ ذِكْـرُهُ، ... فَلَـمْ يَمُـتِ الإِنْسَـانُ مَـا حَيِـيَ الـذِّكْرُ

وقد بقي شاعرنا عدة سنوات يكابد آلام الأسر وويلاته، وعن ذلك الأسر يتحدث

١) الديوان، (ص:٦١).
٢) المصدر السابق، (ص:١٦٥).

التنوخي قائلاً: «كان سيف الدولة، قلده منبج وحران[١] وأعمالها، فجاء خلق من الروم، فخرج إليهم في سبعين نفسًا من غلمانه وأصحابه يقاتلهم، فنكأ فيهم وقتل، وقدر أن الناس يلحقونه، فما اتبعوه، وحملت الروم بعددها عليه فأسر، فأقام في أيديهم أسيرًا سنين، يكاتب سيف الدولة أن يفتديه بقوم كانوا عنده من عظماء الروم، منهم البطريق المعروف بأغورج[٢]، وابن أخت الملك وغيرهما، فيأبى سيف الدولة ذلك، مع وجده عليه، ومكانته في قلبه، ويقول: لا أفدي ابن عمي خصوصًا وأدع باقي المسلمين، ولا يكون الفداء إلا عامًّا للكافة، والأيام تتدافع إلى أن وقع الفداء قبيل موت سيف الدولة، في سنة خمس وخمسين وثلاث مئة»[٣].

هـ. وفاته:

بعد خروج أبي فراس من الأسر، لم تمض سنة واحدة حتى توفي سيف الدولة، في أوائل سنة ست وخمسين وثلاث مئة[٤]، وحينها ساءت الأمور بينه وبين ابن أخته أبي المعالي[٥] ابن سيف الدولة، فتوجه أبو المعالي إليه، فانحاز إلى صدد[٦]، فقدَّم أبو

---

١) منبج: سبق التعريف بها، ينظر الهامش: ص:٥، وحرَّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرّها يوم، وبين الرّقّة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٢/ ٢٣٥).

٢) البطريق: القائد من قواد الروم، وهو معرب، والجمع البطارقة. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ، بطرق، (٤/ ١٤٥٠). أغورج: لم أعثر له على ترجمة.

٣) نشوار المحاضرة وتاريخ المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م، (١/ ٢٢٨).

٤) ينظر: زبدة الحلب، ابن العديم، (ص:٨٩).

٥) أبو المعالي: هو سعد الدولة، شريف بن علي بن عبد الله بن حمدان، كان في ميافارقين، وعندما مات أبوه بحلب قصدها وجلس على سريره، مات سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة وحمل إلى الرقة فدفن بها. ينظر: المرجع السابق، (ص:٩١-١٠٤).

٦) قرية في طرف البرية عند حمص. ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام

المعالي حاجبه قرغويه[1]، وبني كلاب، مع قطعة من غلمان أبيه إلى صدد، فخرج إليهم أبو فراس وناوشهم، فأمر قرغويه بعض غلمانه بالتركية بقتله، فضربه ضربةً أودت بحياته، ونزل فاحتز رأسه، وحمله إلى أبي المعالي، وبقيت جثته مطروحةً في البرية، حتى كفَّنَه رجل من الأعراب، وذلك سنة سبع وخمسين وثلاث مئة.[2].

و. مذهبه:

معظم الكتب والتراجم التي وقفت عليها وترجمت لأبي فراس لم تصرح بمذهبه، ولكن صاحب كتاب: (أعيان الشيعة) قد ترجم له[3] في كتابه هذا، الذي خصَّصَه لترجمة أعيان الشيعة دون غيرهم.

وقد وجدت في ديوانه ما يشير إلى تشيعه أيضًا، ومن ذلك مفاخرته بإمامة آل البيت، التي تدعيها الشيعة لهم في (يوم الغدير)[4]، حاملين حديث رسول الله ﷺ في ذلك اليوم،

تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، (٧/ ٢٧٧).

١) غلام لسيف الدولة ولي حلب بعد وفاته، حتى قدم أبو المعالي من ميافارقين، وجلس على سرير أبيه، فأصبح قرغويه حاجبًا له، استولى على حلب سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مئة، وعقد مع ملك الروم معاهدة هدنة، توفي سنة ثمانين وثلاث مئة. ينظر: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ابن العديم، (ص:٩١-١٠٣).

٢) ينظر: المرجع السابق، (ص:٩١-٩٢).

٣) ينظر: محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٦م، (٤/ ١٨/ ٣٠٧).

٤) الغدير: نسبة إلى مكان يقال له غدير خم بين مكة والمدينة، قرب الجحفة، خطب فيه النبي ﷺ في عودته من حجة الوداع خطبةً عظيمةً، ومما بين فيها فضائل علي وأمانته وعدله، وكان ذلك يوم الأحد، الثامن عشر من ذي الحجة. ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، دار الفكر، ١٤٠٧هـ، (٥/ ٢٠٨).

على غير معناه[1]، حيث يقول[2]:

قَامَ النَّبِيُّ بِهَا (يَوْمَ الْغَدِيرِ) لَهُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ، وَالأَمْلاَكُ، وَالأُمَمُ

ويقول في قصيدة أخرى[3]:

إِذْ قَالَ يَوْمَ (غَدِيرِ خُمٍّ) مُعْلِنًا: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَذَا مَوْلاَهُ!»

وله أبيات أخرى يذكر فيها أهل البيت، مطلعها[4]:

شَافِعِي (أَحْمَدُ) النَّبِيُّ، وَمَوْلاَ يَ (عَلَيٌّ) وَ(الْبِنْتُ) وَ(السِّبْطَانِ)

كما يتوسل بهم في قصيدة أخرى، حيث يقول في مطلعها[5]:

لَسْتُ أَرْجُو النَّجَاةَ، مِنْ كُلِّ مَا أَخْـ ـشَاهُ، إِلاَّ بِـ(أَحْمَدٍ) وَ(عَلِيِّ)

وتمجيد أبي فراس لتلك الإمامة، وتغنيه بها، بل توسله بآل البيت، فيه دلالة على تشيعه، «وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب فيه تشيع وميل إلى الروافض»[6].

٢. مكانته الشعرية:

يعتبر شعر أبي فراس الحمداني مرآة لحياته، فتقرأ فيه تفاصيل حياته، دون أن تعود إلى الرواة والمؤرخين، كلما عرضت له حادثة، أو حل به أمر، سارع إلى الشعر، فانطلق لسانه بأبياتٍ دون تكلفٍ ولا تصنع.

---

١) رد الإمام ابن تيمية رحمه الله على هذه الدعاوى والأباطيل بالأدلة والبراهين البينة ينظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط.١، ١٤٠٦هـ، (٧/ ٣١٣-٣٢٥).

٢) الديوان، (ص:٣٠١).

٣) المصدر السابق، (ص:٣٤٧).

٤) المصدر السابق، (ص:٣٣٧).

٥) المصدر السابق، (ص:٣٥١).

٦) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٥/ ٢٥٥).

وتجد في شعره ذكر الأحبة والوصال، والهجر والحسد، تمر به الغيد فيتهامسن لجماله، ويتغامزن لشيبه وهو ابن العشرين، فيثور على داعي الوقار الذي عاجله قبل أن يستمتع بصباه، يقول[1]:

وَمَـا زَادَتْ عَلَـى العِشْـرِينَ سِـنِّي ... فَمَـا عُـذْرُ المشِـيبِ إِلـى عـذَارِي؟

وَمَـا اسْـتَمْتَعْتُ مِـنْ دَاعِـي التَّصَـابِي ... إِلـى أَنْ جَـاءَنِي دَاعِـي الوَقَـارِ

وفي شعره تجد الإخوانيات، التي أرسلها إلى أصحابه، وأقاربه وغلمانه، تشرق بالإخلاص، وتفيض بالوفاء، فإذا قرأت ما كتب إلى أبي العشائر[2]، أو أبي الحصين[3]، أو أبناء ورقاء[4]، أو أبناء عمه، أو إخوته، وكلهم أمراء وشعراء حسبت أنه من حبيب إلى حبيب، فيها عتاب رقيق، وهوى عتيق، وتحيات مشوق، ودعاء إخلاص، يشاركهم الحزن والسرور، فيبكي المصاب كالنساء، وتفرحه البشارة كالأطفال، يقول مخاطبًا صديقه أبا

١) الديوان، (ص:١٨٠).

٢) أبو العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان ابن حمدون التغلبي الحمداني، أمير فارس مشهور شاعر مجيد، ولاه ابن عمه سيف الدولة أنطاكية، أسره الروم، وتوفي في أسره سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة. ينظر: بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، (٦/ ٢٥٢٧-٢٥٢٨).

٣) أبو الحصين علي بن عبد الملك بن بدر بن الهيثم الرقي، ولاه سيف الدولة القضاء على حلب، سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة، قيل أنه قتل في مغارة الكحل سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة تقريبا. ينظر: زبدة الحلب، ابن العديم ص:٦٨، ٧٧).

٤) أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبد الله ابنا ورقاء الشيباني من رؤساء عرب الشام وقوادها والمختصين بسيف الدولة وما منهما إلا أديب شاعر، جواد ممدح، وبينهما وبين أبي فراس مجاوبات، توفي جعفر سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة، وتوفي عبد الله سنة ثمان وستين وثلاث مئة. ينظر: يتيمة الدهر، الثعالبي، (١/ ١٢٢). وينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق: د. بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، (٨/ ٤٢). وينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جمال الدين بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٤/ ٢٦٥-٢٦٦

الحصين[1]:

يَـا طُـولَ شَـوْقِيَ إِنْ قَـالُوا: الرَّحِيـلُ لاَ فَـرَّقَ اللهُ فِيمَـا بَيْنَنَـا أَبَـدَا

وأعظم رسائله تلك التي كان يسطرها إلى سيف الدولة في (حلب)، فهو ابن عمه، وأبوه بعد أبيه، فلا ضير أن يقف منه موقف الولد من الوالد، والعبد من السيد، وليست هذه الرسائل كلها صفاء، لأن الحياة تتقلب، فقد يحرمه سيف الدولة من القتال ليستخلفه على الشام، وقد يدعو سيفَ الدولة إلى أمرٍ ما فلا يحضر؛ لانشغاله بالحروب وغيرها، فيغضب ويعتب، ولكنه غضب وعتاب لا يجاوز الأبيات، يستعطفه في نهايتها، ويسكن جأشه، راجيًا دوام المحبة، وقد أهداه نفسه، واستخلصه من دنياه جميعًا، يقول[2]:

لاَ تَشْـغَلَنِّي بِـأَمْرِ الشَّـامِ أَحْرُسُـهُ إِنَّ الشَّـآمَ عَلَـى مَـنْ حَلَّـهُ حَـرَمُ
لاَ يَحْرِمَنِّـيَ (سَـيْفُ الـدِّينِ) صُـحْبَتَهُ فَهْـيَ الْحَيَـاةُ الَّتِـي تَحْيَـا بِهَـا النَّسَـمُ
وَمَـا اعْتَرَضْـتُ عَلَيْـهِ فِـي أَوَامِـرِهِ لَكِـنْ سَـأَلْتُ، وَمِـنْ عَادَاتِـهِ، نَعَـمُ!

ويقول[3]:

أَمِـنْ بَعْـدِ بَـذْلِ الـنَّفْسِ فِيمَـا تُرِيـدُهُ أُثَـابُ بِمُـرِّ الْعَتْـبِ حِـينَ أُثَـابُ؟
فَلَيْتَـكَ تَحْلُـو، وَالْحَيَـاةُ مَرِيـرَةٌ، وَلَيْتَـكَ تَرْضَـى وَالأَنَـامُ غِضَـابُ
وَلَيْـتَ الَّـذِي بَيْنِـي وَبَيْنَـكَ عَـامِرٌ وَبَيْنِـي وَبَـيْنَ الْعَـالَمِينَ خَـرَابُ

عمومًا شعر أبي فراس جميلٌ صادق، لا سيما تلك (الروميات) التي نظمها خلال أسره، فقد فجرت منه عيونًا، وخلدته على الزمان، ففيها شكوى العليل الذي لا يحس بعطف قريب، أو عناية حبيب، تطول عليه الساعات وتمتد به الأيام، وتتأخر عنه الكتب،

١) الديوان، (ص:٨٦).
٢) المصدر السابق، (ص:٣٠٠).
٣) المصدر السابق، (ص:٤٨).

فيشتاق إلى منازل الشباب وملاعب الصبا، ويرثي لهذه العجوز العليلة التي يقلقها ذكراه، وهو موثق بخرشنة[1] ما يبدل الصوف وما يفلت من القيود، ويحن إلى أولئك الصبية فأكبرهم أصغر، ويبكي للمسلمين فقد حرموا عونه، وفقدوا مكانه، ويأسف للضيوف وقد أغلق أمامهم قصره، يقول[2]:

فَقَـــدَ الضُّـــيوفُ مَكَانَـــهُ، وَبَكَـــاهُ أَبْنَـــاءُ السَّـــبِيلِ

وَاسْتَوْحَشَـــتْ لِفِرَاقِـــهِ، يَـــوْمَ الْـــوَغَى، سِـــرْبُ الْخُيُـــولِ

وهو ذو ثقافة أدبية واسعة، ومعرفة لغوية عميقة، يدل عليها ما دار بينه وبين المتنبي في مجلس سيف الدولة، عندما قام بتفنيد سرقات المتنبي من الشعراء الآخرين[3].

ومن الذين عاصروه وأعجبوا بشعره وبلاغته (الصاحب بن عبّاد)[4] وقد سجل هذا الإعجاب الثعالبي في يتيمته، إذ يقول: «وكان الصاحب يقول بدئ الشعر بملك وختم بملك يعني امرأ القيس وأبا فراس»[5].

وقد أورد الثعالبي أيضًا مختارات شعرية لأبي فراس، وكثيرًا ما كان يعقب على تلك

---

١) خرشنة: بلد قرب ملطية من بلاد الروم، غزاه سيف الدولة بن حمدان، وذكره المتنبي في شعره، وقالوا: سمي بخرشنة نسبةً إلى عامره وهو خرشنة بن الروم، وينسب إليها عبيد الله بن عبد الرحمن الخرشني. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٢/ ٣٥٩).

٢) الديوان، (ص:٢٧٣).

٣) ينظر: الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، يوسف البديعي، المطبعة العامرة الشرفية، ط١، ١٣٠٨هـ، (١/ ٦٥-٧١).

٤) أبو القاسم، إسماعيل بن عباد بن العباس، الوزير، الملقب بالصاحب، من أهل الطالقان، مات سنة خمس وثمانين وثلاث مئة، كثير المحفوظ، حاضر الجواب، فصيح اللسان، والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة، وهو حسن القيام بالعروض والقوافي، ويقول الشعر وليس بذاك. ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، (٢/ ٦٦٢-٦٦٤).

٥) (١/ ٥٧).

المختارات، ويبدي رأيه فيها، فيقول هذا جيد، وهذا حسن، وهذا أجود ما قيل[١].

كما أفرد الثعالبي حديثًا خاصًا عن رومياته، يقول مختتمًا حديثه عنها: «قد أطلت عناء الاختيار من محاسن شعر أبي فراس، وما محاسن شيء كله حسن، وذلك لتناسبها، وعذوبة مشاعرها، ولا سيما الروميات التي رمى بها هدف الإحسان، وأصاب شاكلة الصواب، ولعمري إنها ـ كما قرأته لبعض البلغاء ـ لو سمعته الوحش أنست، ولو خوطبت به الخرس نطقت، أو أستدعي به الطير نزلت»[٢].

ويرى بطرس البستاني أن أبا فراس يستوي على الدرجة الرفيعة مع الشعراء المبدعين، إلا أنه يرى أن عمق العاطفة لديه قد جعل خياله ضيقًا محدودًا، يقول: «واستسلامه إلى العاطفة المطلقة جعل في خياله ضيقًا، فلم يفسح له مجال التصوير والتزيين، فقد كان يصف الحروب، ويذكر الوقائع دون أن يلجأ إلى الخيال لتلوينها وتعظيمها فِعل المتنبي، فصوره الخيالية قصيرة الخطى، قريبة المدى، ولكنها لطيفة محببه»[٣].

وقد أعجب زكي مبارك – في موازنته – بأبي فراس إعجابًا شديدًا، ورأى أن شعره أشد تأثيرًا، وأكثر عاطفة من شعر المتنبي[٤]، والمعري[٥]، وابن زيدون[٦]، يقول: «لا

١) ينظر: يتيمة الدهر، (١/ ٥٨-١١٢).

٢) يتيمة الدهر، (ص:١١٢).

٣) أدباء العرب في الأعصر العباسية، حياتهم – آثارهم – نقد آثارهم، مكتبة صادر، بيروت، ط٤، (ص:٣٩٩).

٤) سبق التعريف به، ينظر الهامش: ص:٣.

٥) أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان، من أهل معرة النعمان من بلاد الشام، شاعر مشهور قال الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة، وشعره جيد جزل، توفي سنة تسع وأربعين وأربع مئة. ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، (١/ ٢٩٥/ ١٠١).

٦) أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي، برع أدبه، وجاد شعره، انتقل إلى المعتضد عباد صاحب إشبيلية، فجعله من خواصه، توفي سنة ثلاث وستين وأربع مئة بمدينة إشبيلية. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، (١/ ١٣٩-١٤٠/ ٥٧).

تذكروا آلام المتنبي، ولا أشجان المعري، ولا وجد ابن زيدون، كل أولئك أحمالهم خفاف بجانب ما حمل أبو فراس، وما ظنكم بقائد عظيم يذله الأسر حتى يعود طفلاً يتوجع من جراحه ويشكو لأُمِّه»[1].

وقد أرجع مصطفى الشكعة إهمال شأن أبي فراس وصحبه من بقية الشعراء المجيدين في مقابل العناية التي حظي بها المتنبي من جمهور الدارسين والنقاد إلى انشغالهم بشعر المتنبي بين معجب به ومدافع عنه، وبين قادح فيه متحامل عليه، وكانت النتيجة هي علو ذكره وإهمال شأن بقية الشعراء المعاصرين له، وقد أبدى الشكعة استغرابه وعجبه من خلو المؤلفات النقدية من دراسات متعمقة لأبي فراس وصحبه، واقتصارها على العناية بالمتنبي إذ يقول: «وإنه ليدهشنا كثيرًا أن تخلو المؤلفات النقدية الباكرة مثل الوساطة للجرجاني، والعمدة لابن رشيق، من التوفر على دراسة أبي فراس وزملائه، واقتصارها على العناية بالمتنبي، فأفردت لأشعاره الصفحات العديدة، كي تحتل المكانة الكبرى حاجبة بذلك أبا فراس وأقرانه»[2].

١) دار الفكر، ط٢، ١٩٣٦م، (ص:٣٠٥-٣٠٦).

٢) فنون الشعراء في مجتمع الحمدانيين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨١م، (ص:٧٥٩).

الفصل الأول

براعة الاستهلال

براعة الاستهلال من موضوعات علم البديع، وتعتبر أحد مواضع التأنق في الكلام، وهي قسيمة حسن التخلص وحسن الختام، فهذه المواضع الثلاثة ينبغي على الأديب أن يعتني بها، فيتأنق في صياغتها، ويختار المعاني الملائمة لها والألفاظ الدالة عليها أحسن دلالة، ويجعلها مناسبة ومتناسبة، وذلك أن حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح، ولطافة الخروج والتخلص تريح السامع وتجعل الكلام متماسكا مقترنا ببعضه، وخاتمة الكلام أبقى في السمع وألصق بالنفس لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح، والأعمال بخواتيمها[1]، وفي شعر أبي فراس قصائد افتتحها بالنداء منها قصيدة يقول في مطلعها[2]:

يَا طُولَ شَوْقِيَ إِنْ قَالُوا: الرَّحِيلُ لاَ فَرَّقَ اللهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدَا

هذا البيت استهل به الشاعر قصيدةً كتبَ بها إلى القاضي (أبي الحصين)[3]، لَمَّا عزم على المسير إلى (الرقة)[4]، وعندما تقرأ هذه القصيدة؛ تجد أن غرض الشاعر منها إظهار صعوبة صبره وتحمله لفراق صديقه، الذي لا يحتمل فراقه، ولو لحظة يسيرة، وأن الدنيا بأسرها لا تطيب له بعد فراقه، يقول[5]:

---

١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ، (١/ ٢١٧).

٢) الديوان، (ص:٨٦).

٣) سبق التعريف به، ينظر الهامش: ص:١٨.

٤) ينظر: اليتيمة، الثعالبي، (١/ ١٢٧). والرقة: مدينة بالعراق مما يلي الجزيرة، وهي على شارعة الفرات في الشمال منه. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، الرقة، (ص:٢٧٠).

٥) الديوان، (ص:٨٦).

رَاعَ الْفِـــرَاقُ فُـــؤَادًا كُنْـــتَ تُؤْنِسُـــهُ وَذَرَّ بَـــيْنَ الْجُفُـــونِ الـــدَّمْعَ والسَّـــهَدَا

لاَ يُبْعِـــدِ اللهُ شَخْصًـــا لاَ أَرَى أَنَسًـــا وَلاَ تَطِيـــبُ لِـــيَ الـــدُّنْيَا إِذَا بَعُـــدَا

ثم بعد ذلك يعلل لشدة تعلقه بصديقه بذكر فضائله، وإحسانه عليه، إذًا فالقصيدة كلها تدور حول الفراق والرحيل، وعندما تقرأُ مطلعها الذي استهله الشاعر بالنداء: (يا طول شوقي)، تعلم غرض الشاعر من هذه القصيدة، وهذا ما يسمى ببراعة الاستهلال، فطول الشوق يُنْبئك بوجود فراق، ثم يأتي بعد ذلك جواب النداء، ليؤكد أن هناك رحيلاً لصديق، سيُخلِّف فراقًا طويلاً.

***

وله[1]:

أَتَـــزْعُمُ، يَـــا ضَـــخْمَ اللَّغَادِيـــدِ، أَنَّنَـــا وَنَحْـــنُ أُسُـــودُ الْحَـــرْبِ لاَ نَعْـــرِفُ الْحَرْبَـــا[2]

هذا البيت هو مطلع قصـيدة رد بها الشـاعر على الدمسـتق[3]، بعدما جرت بينهما مناظرة، قال له فيها الدمستق: (إنما أنتم كُتَّاب أصحاب أقلام؛ ولستم بأصحاب سيوف؛ ومن أين تعرفون الحروب؟) فقال له أبو فراس: (نحن نطأ أرضـك منذ سـتين سـنة بالسيوف أم بالأقلام؟) ثم أجابه بهذه القصيدة[4].

وعندما تقرأُ هذه القصيدة تجد أن الشاعر يهجو فيها الدمستق وقومه، ويتهكم منهم، مفندًا مزاعمهم الباطلة، ومبينًا بطلانها، بطرح عدة أسئلة على المنادى، يبين فيها حقيقته، ومن ذلك قوله[5]:

---

١) الديوان، (ص:٣١).

٢) اللغاديد: اللحمات التي بين الحنك والعنق. ينظر: الصحاح، الجوهري، لغد، (٢/ ٥٣٥).

٣) قائد رومي لم أعثر له على ترجمة.

٤) أورده شارح الديوان في مناسبة القصيدة، ينظر: الديوان، (ص:٣١).

٥) المصدر السابق.

وَوَيْلَكَ؛ مَنْ أَرْدَى أَخَاكَ بِمَرْعَشٍ[1] وَجَلَّلَ ضَرْبًا وَجْهَ وَالِدِكَ الْعَضْبَا؟

ثم يواصل طرح أسئلته التي يتهكم فيها بالمنادى، ذاكرًا ضعفه وضعف قومه، وطالبًا منه أن يسأل أباه وقومه عما فعله قوم الشاعر بهم، ثم بعد ذلك يسأله عن هذه الوقائع التي أوقعوها بهم، هل كانت بالأقلام أم بالسيوف، يقول[2]:

بِأَقْلاَمِنَا أُجْحِرْتَ أَمْ بِسُيُوفِنَا؟ وَأُسْدَ الشَّرَى قُدْنَا إِلَيْكَ أَمِ الْكُتْبَا؟

إذًا فالقصيدة كلها تدور حول تهكم الشاعر بالدمستق وقومه، وعندما تسمع النداء الذي استهلت به، فإنك تعلم غرضها من خلاله، فعندما يقول في جملة النداء: (يا ضخم اللغاديد)، تعلم أن الشاعر يتهكم من المنادى، وذلك هو غرض القصيدة، وكذلك الحال في جواب النداء، ففي قوله: (أتزعم؟)، تهكم أيضًا، لأنه يبين أن ما قاله المنادى لا يعدو كونه مزاعم، لا أساس لها من الصحة، ولذلك فاستهلال الشاعر قصيدته بالنداء كان موفقًا، لدلالته على غرض القصيدة.

***

وله[3]:

يَا حَسْرَةً مَا أَكَادُ أَحْمِلُهَا، آخِرُهَا مُزْعِجٌ، وَأَوَّلُهَا!

لَمَّا طال على والدة الشاعر أَسْرُه، خرجت من منبج إلى حلب، وراسلت سيف الدولة؛ وصادف ذلك أن قومًا من الروم قُيِّدوا بحلب، فقُيِّد أيضًا أبو فراس بخرشنة[4]؛ ورأت أن الأمر قد عظم، فاعتلت من الحسرة، فبلغ ذلك أبا فراس فكتب قصيدةً إلى

---

١) مرعش: مدينة في الثغور، بين الشام وبلاد الروم، لها سوران وخندق، وفي وسطها حصن عليه سور، يعرف بالمرواني. ينظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٥/ ١٠٧).

٢) الديوان، (ص:٣٢).

٣) المصدر السابق، (ص:٢٦٣).

٤) سبق التعريف بها، ينظر الهامش: ص:٢٠.

سيف الدولة، مطلعها البيت السابق[1].

وهذه القصيدة تدور كلها حول التحسر، فالشاعر يتحسر على والدته التي تقطع قلبها، حسرةً على فراق ولدها، دون أن تجد من يساعدها في إطلاق سراحه، فيخاطب سيف الدولة الذي ردها خائبةً، قائلاً له[2]:

بِأَيِّ عُذْرٍ، رَدَدَتَ وَالِهَةً، عَلَيْكَ، دُونَ الوَرَى، مُعَوَّلُهَا؟
جَاءَتْكَ، تَمْتَاحُ رَدَّ وَاحِدِهَا، يَنْتَظِرُ النَّاسُ كَيْفَ تُقْفِلُهَا!

ثم يصف الشاعر في هذه القصيدة حاله في الأسر، وما يعانيه من الشدة والقسوة، حيث تمكث ثيابهم عليهم وقتًا طويلاً، لا يبدلونها، وهم يحملون القيود والسلاسل، ويتنقلون بها، قد تغيرت ملامحهم، حتى لا تكاد تعرفهم، فيقول[3]:

يَا نَاعِمَ الثَّوْبِ! كَيْفَ تُبدِلُهُ؟ ثِيَابُنَا الصُّوفُ مَا نُبَدِّلُهَا!
يَا رَاكِبَ الْخَيْلِ! لَوْ بَصُرْتَ بِنَا نَحْمِلُ أَقْيَادَنَا، وَنَنْقُلُهَا!
رَأَيْتَ، فِي الضُّرِّ، أَوْجُهًا كَرُمَتْ فَارَقَ فِيكَ الْجَمَالَ أَجْمَلُهَا!
قَدْ أَثَّرَ الدَّهْرُ فِي مَحَاسِنِهَا، تَعْرِفُهَا، تَارَةً، وَتَجْهَلُهَا

والشاعر يذكر هذا الحال تحسرًا على حاله، فبعدما كان فارسًا تهابه الشجعان، إذ به يصير إلى هذه الحال.

وعندما تسمع النداء الذي استهل به الشاعر هذه القصيدة، فإنك تعلم غرضها، فنداؤه للحسرة، ينبئ بأن الغرض من القصيدة هو التحسر.

***

١) أورده شارح الديوان في مناسبة القصيدة، ينظر: الديوان.
٢) الديوان، (ص:٢٦٤).
٣) المصدر السابق، (ص:٢٦٥).

وله أيضًا[1]:

أَ أَبَـا الْعَشَـائِرِ، إِنْ أَسِـرْتَ فَطَالَمَـا أَسَـرَتْ لَـكَ الْبِـيضُ الْخِفَـافُ رِجَـالاَ!

هذا البيت مطلع قصيدةً كتب بها الشاعر إلى أبي العشائر، بعدما أسرته الروم[2]، وقد أشاد فيها ببطولاته السابقة ضد الروم، وشدة بأسه عليهم، وما كان أسرهم له إلا عن طريق الغدر، يقول[3]:

أَخَـذُوكَ فِـي كَبِـدِ الْمَضَـايِقِ، غِيلَـةً، مِثْـلَ النِّسَـاءِ، تُرَبِّـبُ الرِّئْبَـالاَ[4]

ثم يطمئنه بأن سيف الدولة لن يتركه، وسوف يخرجه قريبًا من ذلك الأسر، يقول[5]:

مَـا زَالَ (سَـيْفُ الدَّوْلَـةِ) الْقَـرْمَ، الَّـذِي يَلْقَـى الْعَظِـيمَ، وَيَحْمِـلُ الأَثْقَـالاَ[6]

وَغَـدًا تَـزُورُكَ بِالْفِكَـاكِ خُيُولُـهُ، مُتَثَـاقِلاَتٍ، تَنْقُـلُ الأَبْطَـالاَ

إِنَّ ابْـنَ عَمِّـكَ لَـيْسَ يَغْفَـلُ، إِنَّـهُ مَلَـكَ الْمُلُـوكَ، وَفَكَّـكَ الأَغْـلاَلاَ!

إذًا فالشاعر في هذه القصيدة، يعزي أبا العشائر في أسره، ويخفف عن مصابه بذكر وقائعه معهم، وأنه لم يُؤْسَر إلا غيلة، وليس عن ضعف فيه، ثم يذكره بأنه لن يطول أسره، ما دام سيف الدولة معه، وهذا العزاء قد ظهر من خلال النداء الذي استهل به الشاعر هذه القصيدة، حيث يقول في أولها: (أ أبا العشائر إن أسرت فطالما، أسرت لك البيض الخفاف رجالا)، ولذلك ناداه بكنيته إظهارًا لقربه منه، وأنه معه قلبًا وقالبًا، يؤكد ذلك استخدام أداة النداء «الهمزة» التي تستخدم لنداء القريب، ليشعر المنادى أنه قريب من قلبه، وهو

---

١) الديوان، (ص:٢٤٢).

٢) أورده شارح الديوان في مناسبة القصيدة، ينظر: الديوان، (ص:٢٤٢).

٣) المصدر السابق، (ص:٢٤٣).

٤) غيلة: خدعة، تربب الرئبالا: تربي الأسد. ينظر تاج العروس، الزبيدي، غيل، ٣٠/ ١٣٨، ربب، (٢/ ٤٦٤، رأبل، ٢٩/ ٢٦).

٥) الديوان، (ص:٢٤٣).

٦) القرم: المقدم في المعرفة وتجارب الأمور، ينظر تاج العروس، الزبيدي، قرم، ٣٣/ ٢٥٢).

بهذا يخفف من مصاب المنادى، وهذا هو غرض القصيدة كلها، التخفيف من مصاب المنادى.

***

وله[1]:

يَا ضَارِبَ الْجَيْشِ بِي فِي وَسْطِ مَفْرِقِهِ لَقَدْ ضَرَبْتَ بِنَفْسِ الـ صارِمِ الغَضِبِ

هذا البيت مطلع قصيدة يستعرض فيها الشاعر قوته، وشدة بطشه بالأعداء، وقد استهلها بالنداء، بقوله: (يا ضارب الجيش)، والمنادى هنا هو سيف الدولة، وسيف الدولة لم يباشر ضرب الجيش بنفسه، وإنما كان ذلك بأمره وتوجيهه وهذا من قبيل المجاز العقلي الذي أضفى جمالاً على هذا النداء.

ويبين الشاعر أن الأداة التي استخدمها المنادى في ضرب الجيش، هي الشاعر نفسه، يقول في ذلك: (يا ضارب الجيش بي)، فهو يعد نفسه الأداةً المناسبة لسيف الدولة التي يضرب بها الجيوش، ولا غنى له عنها، فيخاطبه قائلاً: (لقد ضربت بنفس الصارم الغضب)، ومما أعتدَّ فيه الشاعر بنفسه في هذه القصيدة، ويتناسب مع ما اسْتُهِلَّت به، قوله[2]:

وَلاَ أَعُودُ بِرُمْحِي غَيْرَ مُنْحَطِمٍ وَلاَ أَرُوحُ بِسَيْفِي غَيْرَ مُخْتَضِبِ

حَتَّى تَقُولَ لَكَ الأَعْدَاءُ رَاغِمَةً (أَضْحَى ابْنُ عَمِّكَ هَذَا فَارِسَ الْعَرَبِ)

وهذا الاعتداد بالقوة والشجاعة الذي أورده الشاعر في قصيدته هو غرض القصيدة وقد ظهر من خلال النداء الذي استهل به الشاعر هذه القصيدة عندما قال: (يا ضارب الجيش بي)، مما جعل استهلاله بالنداء موفقًا، لدلالته على الغرض الأصلي للقصيدة.

---

١) الديوان، (ص:٦١).

٢) الديوان، (ص:٦٢).

يقول[1]:

يَـا طِيـبَ لَيْلَـةِ مِـيْلادٍ، لَهَـوْتُ بِهَـا بِأَحْـوَرٍ، سَـاحِرِ الْعَيْنَـيْنِ، مَمْكُـورِ[2]

***

هذا البيت هو مطلع ثلاثة أبيات، يصف فيها الشاعر ليلةً جميلةً، قضاها لاهيًا مع محبوبته الحوراء ساحرة العينين، فاستهل هذه الأبيات بنداءٍ، يتمنى فيه عودة تلك الليلة، (يا طيب ليلة)، وهذا الأسلوب فيه تشويق لمعرفة أوصاف تلك الليلة، فعندما تسمع ذلك النداء: (يا طيب ليلة)، فإن نفسك تشتاق لمعرفة أوصاف تلك الليلة، التي يتمنى الشاعر عودتها.

ثم بعد ذلك، يصف الشاعر أجواء تلك الليلة، التي اجتمعت فيها أسباب السعادة والأنس، من الأجواء اللطيفة، والمناظر الخلابة، فيقول[3]:

وَالجَـوُّ يَنْشُـرُ دُرَّاً، غَيـرَ مُنْـتَظِمٍ، والأَرْضُ بَـارِزَةٌ فِي ثَـوْبِ كَـافُورِ

وَالنَّـرْجِسُ الْغَـضُّ يحْكِـي حُسْـنُ صَـفْرَاءَ صَـافِيَةً فِـي كَـأْسِ بَلُّـورِ

***

فلما كانت الأبيات تدور حول هذه الأوصاف الجميلة لهذه الليلة، ناسب أن يفتتحها الشاعر بالنداء الذي يتمنى فيه عودة تلك الليلة، وهذا التمني في إيحاءٌ بما يأتي بعده، من ذكرٍ لجمال تلك الليلة، فلو لم تكن جميلةً لما تمنى عودتها، مما جعل استهلاله بالنداء موفقًا.

---

١) الديوان، (ص:١٩٠).

٢) الممكورة: هي المستديرة الساقين أو المدمجة الخلق الشديدة البضعة. ينظر: تاج العروس، مكر، ١٤/ ١٤٩).

٣) الديوان، (ص:١٩٠).

وله(1):

أَيَــا (مَنْ ُصورُ) خَـــانَتْنِي ثِقَـــاتِي فَمَهِّــدْ لِــي عَلَـى الْعَــدَوِيِّ سَــرْجِي(2)

هذا البيت هو مطلع ثلاثة أبيات، يصف فيها الشاعر تخلي قومه بني حمدان عنه، وحسدهم له، بعد أن كان يثق فيهم، ويرى أنهم ملاذه الآمن عند الملمات، ولكن شيئًا من ذلك لم يكن، بل إنهم حسدوه على ما امتاز به عليهم.

وقد استهل الشاعر أبياته هذه بنداء غلامه منصور، الذي كان صادقًا ومخلصًا في حبه، ولم تغيره الأزمان، وقد حظي بمحبة الشاعر له منذ صغره، يقول فيه(3):

سَـبَقَ النَّـاسَ، فِـي الْهَـوَى، مَنْصُـورُ فَسِــــوَاهُ مُكَلَّـــفٌ، مَغْـــرُورُ

لَحِــــقَ الْعُـــودَ، نَاعِمًـــا، فَثَنَـــاهُ وَهـوَ صَـعْبٌ، عَلَـى الـدَّهُورِ، عَسِـيرُ

فناداه ذاكرًا له خيانة الثقات: (أيا منصور خانتني ثقاتي)، ويطلب منه أن يمهد له سرجه على فرسه، الذي وصفه بالعدوي، وما ذلك إلا لرغبته الشديدة في سرعة الرحيل عن هؤلاء القوم، الذين لم يكونوا عند حسن ظنه، وعندما تسمع بهذا النداء، الذي يذكر فيه خيانة الثقات، ورغبته الشديدة في الارتحال عنهم أسرع ما يمكن، فإن نفسك تتوق لمعرفة هؤلاء الثقات، فيأتي الجواب بعد ذلك مباشرة(4):

(بَنُــو حَمْــدَانَ) حُسَّــادِي، جَمِيعًــا، فَمَــا لِــي لاَ أَزُورُ (بَنِــيَّ طُغْــجِ)؟!(5)

---

1) الديوان، (ص:72).

2) العدوي: شديد العدو. ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، عدا، (3/ 72).

3) المصدر السابق، (ص:169).

4) الديوان، (ص:72).

5) بني طغج: ملوك مصر آنذاك، وهي كلمة تركية، نسبة إلى أبي بكر محمد بن طغج بن جف بن خاقان الفرغاني التركي. ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، (3/ 251).

فالشاعر يذكر تخلي قومه بني حمدان عنه، وحسدهم له، بعد أن كان يثق فيهم، فما كان منه إلا أن قرر الرحيل عنهم.

وقد كان استهلاله لأبياته بذكر خيانة الثقات، وهي جملة جواب النداء موفقًا؛ لأن ذلك يدعو إلى التشوق لمعرفة هؤلاء الثقات.

***

وله أيضًا[1]:

يَـا قَلِيـلَ الوَفَـاءِ، هَـذَا قَبِـيحٌ! أَنْـتَ خِلْـوٌ، مِـنَ الْهَـوَى، مُسْـتَرِيحُ!

أَنْـتَ، لَـوْ كَـانَ لِلْهَـوَى فِيـكَ حَـظٌّ، لَـمْ يَبِـتْ مِنْـكَ، مِثْـلُ قَلْبِـي، جَـرِيحُ

هذا البيت هو مطلع أربعة أبيات، يندد فيها الشاعر بالتهاجر، وقد استهلها بندائه لقليل الوفاء: (يا قليل الوفاء)، فهو لم يصرح باسم المنادى، بل وصفه بقلة الوفاء، عتابًا له على قلة وفائه، وعندما تسمع هذا النداء، فإن نفسك تتوق إلى معرفة سبب وصف الشاعر للمنادى بقلة الوفاء.

ثم يبين بعد ذلك سبب وصفه للمنادى بقلة الوفاء، وهو هجره له، حيث قد بالغ المنادى في هجره، فطالت مدة الهجر عن الحد الذي يرى أنه لا يحسن أن تزيد عنه، يقول في ذلك[2]:

إِنَّمَـا يَحْسُـنُ التَّهَـاجُرُ يَوْمًـا فَـإِذَا كَـانَ دَائِمًـا، فَقَبِـيحُ

كُـلُّ هَجْـرٍ، يَـدُومُ يَوْمًـا إِلَـى اللَّيْـ ـلِ وَيَفْنَـى، فَـذَاكَ هَجْـرٌ مَلِـيحُ

فالشاعر يعاتب المنادى على إطالته للهجر، فناسب أن يستهل أبياته هذه بوصف المنادى بقليل الوفاء؛ لأن إطالة الهجر من قلة الوفاء.

---

١) الديوان، (ص:٧٥).

٢) الديوان، (ص:٧٥).

وقد علل الشاعر فعل المنادى هذا بخلوه من الهوى، ولو تمكن الهوى من قلبه كما تمكن من قلب الشاعر، لما هجره، وجعل قلبه يبات جريحًا.

***

وله[1]:

يَـا مَعْشَـرَ النَّـاسِ! هَـلْ لِـي مِمَّـا لَقِيْـتُ مُجِيـرُ؟

هذا البيت هو مطلع أربعة أبيات، استهلها الشاعر بقوله: (يا معشر الناس!)، وعندما تسمع هذا النداء الموجه إلى عامة الناس، فإنك ستتوقف عنده لمعرفة المراد منه، ثم تأتي بعد ذلك جملة جواب النداء: (هل لي مما لقيت مجير؟) لتزداد شوقًا إلى معرفة هذا الأمر الجلل، الذي حل بالشاعر، وجعله يستصرخ الناس كلهم، باحثًا عمن يجيره مما حل به.

ثم يذكر بعد ذلك المصائب التي ألمت به، فجعلت ليله طويلاً ونومه قصيرًا، والتي يسعى للخلاص منها، فيقول[2]:

أَصَـابَ غِـرَّةَ قَلْبِـي هَـذَا الغَـزَالُ الغَرِيـرُ
فَعُمْـرُ لَيْلِـي طَوِيـلٌ، وَعُمْـرُ نَـوْمِي قَصِـيرُ
أَسَـرْتَ مِنِّـي فُـؤَادِي، يَفْـدِيكَ ذَاكَ الأَسِـيرُ

وبعد ذكره لهذه المعاناة مع محبوبه الذي أسر قلبه، فبات لا يفكر إلا فيه، حتى حُرم من النوم، ناسب أن يفتتح قصيدته بنداء الناس جميعًا، لعله يجد من يساعده في الخروج من هذه المحنة، ومع كون المنادى هنا لا ينبئك بغرض القصيدة، إلا أن هذا النداء قد أتى في محله المناسب، لما يبعث في النفس من معرفة الأمر المهول، الذي حل بالشاعر، مما جعله يستجير بالناس جميعًا.

---

١) المصدر السابق، (ص:١٦٨).

٢) المصدر السابق.

وله[1]:

يَـــا قَـــرْحُ، لـــمْ يَنْـــدَمِلِ الأَوَّلُ! فَهَـــلْ بِقَلْبِـــي لَكُمَـــا مَحْمَـــلُ؟

هذا البيت هو مطلع قصيدة كتب بها الشاعر إلى القاضي أبي الحصين[2]، وقد أُسِر ابنه أبو الهيثم وكان قد أصيب بابنه أبي الحسن منذ أيام[3]، والقصيدة تدور حول هذين المصابين، يقول[4]:

جُرْحَـانِ، فِـي جَسْـمٍ ضَـعِيفِ الْقُـوَى حَيْـــثُ أَصَـــابَا فَهُـــوَ الْمَقْتَـــلُ!

ولما كانت القصيدة تدور حول هذا المعنى، ناسب أن يستهلها بذكر هذين الجرحين، فأتت جملة النداء بذكر الجرح الأخير: (يا قرح)، ثم أعقبتها جملة جواب النداء بذكر الجرح الأول: (لم يندمل الأول!).

وهذا الاستهلال يعد موفقًا؛ لأنك عندما تسمع الشاعر ينادي جرحًا ما، ولا زالت آلام الجرح السابق باقيةً لم تندمل، دون أن يصرح بهذين الجرحين، فإن نفسك تتشوف لمعرفة هذين الجرحين، واللذين وردا في هذه القصيدة، يقول[5]:

فَفِدْيَـــــةُ الْمَأسُـــــورِ مَقْبُولَـــــةٌ، وَفِدْيَـــــةُ الْمَيّـــــتِ لا تُقْبَـــــلُ

وله[6]:

وَرَاءَكِ يَا (نُمَـــيْرُ)! فَـــلاَ أَمَـــامُ فَقَـــدْ حَـــرُمَ الجْزِيـــرَةُ وَالشَّـــآمُ[7]

١) الديوان، (ص:٢٤٥).

٢) سبق التعريف به، ينظر الهامش: ص:١٨.

٣) أورده شارح الديوان في مناسبة القصيدة، ينظر: المصدر السابق.

٤) المصدر السابق، (ص:٢٤٦).

٥) الديوان، (ص:٢٤٦).

٦) المصدر السابق.

٧) نمير: هم بنو نمير بن عامر، وهم رهط الراعي النميري، كان لهم دولة في الجزيرة الفراتية ثم خمدوا.

في هذه القصيدة يعتد الشاعر بانتصاراته على نمير، وقد أسر منهم من أسر، وهرب من هرب، وفي ذلك يقول[1]:

بَطَحْنَا مِنْهُمُ (مَرْجَ بْنَ جَحْشٍ) فَلَمْ يَقِفُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يُحَامُوا

وقد استهل الشاعر قصيدته بالتوعد، فهو يتوعد نمير باللحاق بها، مهما كلف الأمر، فيقول: (وراءك يانمير فلا أمام)، وقد وفق الشاعر لهذا الاستهلال، لأنه يوافق غرض القصيدة وهو الفخر، وقوله: (وراءك يا نمير)، يفخر فيه بقوته، وأنه لابد وأن يقضي على نمير، مهما كلف الأمر، ولذلك قال: (فقد حرم الجزيرة والشآم)، وكأنه قد أصبح يملكهما جميعًا، فحرمهما عليهم، ويؤكد ذلك قوله[2]:

لَنَا الدُّنْيَا، فَمَا شِئْنَا حَلاَلٌ لِسَاكِنِهَا، وَمَا شِئْنَا حَرَامُ

وَيَنْفُذُ أَمْرُنَا، فِي كُلِّ حَيٍّ، فَيُدْنِيهِ وَيُقْصِيهِ الكَلاَمُ

ولذلك فاستهلاله بالنداء لهذه القصيدة موفق؛ لدلالته على غرض القصيدة.

ومن خلال هذه الشواهد فإن ورود النداء في أول القصيدة، يعد براعة استهلال؛ وذلك لدلالته على الغرض الأصلي للقصيدة. فمن خلال جملة النداء يتبين لك الغرض الأصلي للقصيدة كما مر في تحليل الأبيات السابقة.

ينظر: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي، (ص:٥٠٢).

١) الديوان، (ص:٢٤٦).

٢) المصدر السابق.

الفصل الثاني

حسن الختام

تختتم القصائد أحيانًا بالنداء، وقد يُعد ذلك من حسن الختام، وفيما يلي دراسة للنداء الذي اختتم به أبو فراس قصائده، ومن ذلك قوله[١]:

أَنَــا أَصْــبَحْتُ لاَ أُطِيــقُ حَرَاكًــا؛ كَيْـفَ أَصْـبَحْتَ أَنْــتَ يَـا (مَنْ ُصورُ)؟

هذا البيت وقع في ختام أربعةِ أبياتٍ، كتب بها الشاعر إلى غلامه منصور، يبين فيها حاله في الأسر، وقد اجتمعت عليه المآسي والأحزان، ولكنه مع ذلك صابرٌ، ولم تزحزحه هذه المآسي والأحزان عما كان عليه، وفي ذلك يقول[٢]:

مُغْــرَمٌ، مُــؤْلَمٌ، جَــرِيحٌ، أَسِــيرٌ إِنَّ قَلْبًــا، يُطِيــقُ ذَا، لَصَــبُورُ

وَكَثِيــرٌ مِــنَ الرِّجَــالِ حَدِيــدٌ، وَكَثِيــرٌ مِــنَ الْقُلُــوبِ صُــخُورُ

ومع ما حل بالشاعر في الأسر، إلا أنه يحمل هم غلامه الحر الطليق، والذي يرى أن الهموم والأحزان قد أسرت قلبَه حزنًا على سيِّده[٣]:

قُــلْ لِمَــنْ حَــلَّ بِالشَّــآمِ طَلِيقًــا، بِــأَبِي قَلْبُــكَ الطَّلِيــقُ الأَسِــيرُ

ثم يبين الشاعر أن الأسر قد قيده عن الحركة، فتوقفت انجازاته لذلك، مع أن همته عالية، وبعد أن بين الشاعر للمنادى حاله، وما يمر به، طلب من المنادى بيان حاله أيضًا، قائلاً[٤]:

أَنَــا أَصْــبَحْتُ لاَ أُطِيــقُ حَرَاكًــا؛ كَيْـفَ أَصْـبَحْتَ أَنْــتَ يَـا (مَنْصُـورُ)؟

---

١) الديوان، (ص:١٦٧).

٢) المصدر السابق.

٣) المصدر السابق.

٤) المصدر السابق.

والغرض من هذه الأبيات، هو السؤال عن حال المنادى، هل هو مستمرٌ على همته وإنجازاته، التي عهده عليها؟ أم أنه قد عاد القهقرى، ولكن الشاعر قد أخر هذا السؤال، وأتى به بعد أن بدأ ببيان حاله هو، وأنه مع ما يمر به من المآسي والأحزان، إلا أن همته ثابتة لم تتزحزح، ولولا الأسر لاستمر فيما كان عليه من الطموح، ثم بعد ذلك أتى بسؤال المنادى عن حاله، قائلاً: (كيف أصبحت أنت يا منصور؟) وأرى أن الشاعر قد وفق لذلك، لما في ذلك من تحفيزٍ للمنادى على العمل والانجاز، وأن يقتدي به في ذلك، وذلك عندما أخر سؤاله للمنادى عن حاله، وجعله بعد بيان بقاء همته وطموحه هو.

يقول[1]:

أَ أَيَّامَنَا، فِي (نَهْرِ مَارِيَةَ) اسْلَمِي وَعُودِي لَنَا فَالْعَوْدُ أَحْمَدُ لِلأَمْرِ[2]

أتى هذا النداء في آخر قصيدة يذكر فيها الشاعر أيام الصبا، ويحن إليها، متمنيًا عودتها مرةً أخرى، وبعد أن ذكر وصفًا لتلك الأيام، التي قضاها في صباه، وما كان فيها من لهوٍ وأنس، ناسب أن يختم قصيدته بنداء تلك الأيام، متمنيًا عودتها، كي ينعم بأنسها وسرورها، فاختتام الشاعر قصيدته بنداء الأيام كان موفقًا[3]:

أَأَيَّامَنَا، فِي (نَهْرِ مَارِيَةَ) اسْلَمِي وَعُودِي لَنَا فَالْعَوْدُ أَحْمَدُ لِلأَمْرِ
سَلامٌ عَلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَأَهْلَهَا، سَلامَ غَرِيبٍ، ظَلَّ يُزْرِي عَلَى الدَّهْرِ

***

وله[4]:

فَعُدْ يَا زَمَانَ الْقُرْبِ، فِي خَيْرِ عِيشَةٍ وَأَنْعَمِ بَالٍ، مَا بَدَا كَوْكَبٌ دُرِّي

١) الديوان، (ص:١٧٧).
٢) نهر مارية: لم أعثر له على ترجمة.
٣) الديوان، (ص:١٧٧).
٤) الديوان، (ص:١٧٨).

وَعِـشْ (يَـا بْـنَ نَصْـرٍ) مَـا اسْـتَهَلَتْ تَـرُوحُ إِلَـى عِـزٍّ وَتَغْـدُو عَلَـى نَصْـرِ

هذان البيتان اختتم بهما الشاعر قصيدةً أجاب فيها صديقه أبا زهير[1]، وقد أثنى عليه فيها، وذكر بعضًا من فضائله، ومن ذلك قوله[2]:

أَلاَ مَـا لِمَـنْ أَمْسَـى يَـرَاكَ وَلِلبَـدْرِ، وَمَـا لِمَكَـانٍ أَنْـتَ فِيـهِ وَلِلْقَطْـرِ
تَجَلَّلْـتَ بِـالتَّقْوَى، وَأُفْـرِدْتَ بِـالْعُلاَ، وَأَهَّلْـتَ لِلْجُلَّـى، وَحُلِّيـتَ
وَقَلَّـدْتَنِي، لَمَّـا ابْتَـدَأْتَ بِمَـدْحَتِي، يَـدًا لاَ أُوَفِّـي شُـكْرَهَا، أَبَـدَ الـدَّهْرِ[3]

ومما وصف به شعره قوله أيضًا[4]:

وَإِنَّـكَ فِـي عَـذْبِ الْكَـلاَمِ وَجَزْلِـهِ، لَتَغْـرِفُ مِـنْ بَحْـرٍ، وَتَنْحَـتُ مِـنْ صَـخْرِ
وَمِثْلُـكَ مَعْـدُومُ النَّظِيـرِ مِـنَ الْـوَرَى وَشِـعْرُكَ مَعْـدُومُ الشَّـبِيهِ مِـنَ الشِّـعْرِ
كَـأَنَّ عَلَـى أَلْفَاظِـهِ، وَنِظَامِـهِ بَـدَائِعَ مَـا حَـاكَ الرَّبِيـعُ مِـنَ الزَّهْـرِ
تَـنَفَّسَ فِيـهِ الـرَّوْضُ فَاخْضَـلَّ بِالنَّـدَى وَهَـبَّ نَسِـيمُ الـرَّوْضِ يُخْبِـرُ بِـالْفَجْرِ

ثم بعد أن ذكر صفاته وفضائله، راح يشكو فراقه والبعد عنه، ويبين ما به من الحسرة والألم على فراقه، يقول[5]:

إِلَـى اللهِ أَشْـكُو مِـنْ فِرَاقِـكَ لَوْعَـةً، طَوَيْـتُ لَهَـا، مِنِّـي الضُّـلُوعَ، عَلَـى جَمْـرِ
وَحَسْـرَةَ مُرْتَـاحٍ إِذَا اشْـتَاقَ قَلْبُـهُ، تَعَلَّـلَ بِالشَّـكْوَى وَعَـادَ إِلَـى الصَّـبْرِ

وفي هذه الحال التي يشكو فيها الفراق، راح ينادي الزمن الذي كان قريبًا فيه من

---

١) أبو زهير: هو مهلهل بن نصر بن حمدان الحمداني، ينظر: يتيمة الدهر، الثعالبي، (١/ ١١٥).
٢) الديوان، (ص:١٧٧).
٣) الجُلَّى: الأمر العظيم. ينظر: تاج العروس، الزبيدي، ج ل ل، (٢٨/ ٢١٧).
٤) الديوان، (ص:١٧٨).
٥) المصدر السابق.

صديقه، متمنيًا عودته مرة أخرى، لما فيه من عيشة طيبة، وراحة بال، هروبًا من المعاناة التي يعيشها، وبما أن ذلك الزمن قد أصبح بعيدًا، فقد ناداه نداء البعيد، باستخدام أداة النداء (يا)؛ ليمد بها صوته أقصى ما يمكن.

وقد ناسب هذا النداء أن يأتي في آخر القصيدة، ليعبر فيه الشاعر عن رغبته الشديدة بعودة تلك الأيام، ثم ختم الشاعر قصيدته بالبيت الثاني، والذي نادى فيه صديقه، داعيًا له بالعز في رواحه وغدوه، واختتام الشاعر بالنداء الذي يحمل معنى الدعاء موفق، فهو بمثابة الدعاء الذي يكون في ختام القول.

***

وله[1]:

يَـا وَيْـحَ خَالِـكَ! بَـلْ يَـا وَيْـحَ كُـلِّ فَتَـىً! أَكُـلَّ هَـذَا تَخَطَّـى، نَحْـوَكَ، الأَجَـلُ؟

هذا البيت اختتم به الشاعر قصيدةً يعزي بها سيف الدولة، في وفاة ابنه أبي المكارم، وهو ابن أخت الشاعر، فبعد أن أثنى الشاعر على صبر سيف الدولة، وقوة تحمله، ورضاه وتسليمه بقضاء الله وقدره، تمنى لو تصل هذه القصيدة إلى الميت، يقول[2]:

هَـلْ تَبْلُـغُ الْقَمَـرَ الْمَـدْفُونَ رَائِعَـةٌ مِـنَ الْمَقَـالِ، عَلَيْهَـا لِلأَسَـى حُلَـلُ؟

ثم بعد ذلك تحدث عن نفسه، وأنه بعد موت ابن أُخته أصبح لا يأمل في شيءٍ من أمور الدنيا، لأنها لا تساوي شيئًا، ولا تمنع الموت إذا حضر، وراح يتساءل ويتعجب عما كان يملكه الميت، من العبيد والخيول والسيوف، وغيرها من العتاد، كلها لم تمنع عنه الموت، ثم بعد ذلك ختم قصيدته بالنداء، متعجبًا مندهشًا، قائلاً: (أكل هذا تخطى، نحوك الأجل؟)، وقد وفق الشاعر لهذا الختام؛ لأنه أتى بعدما عدد أملاك ذلك الميت، والتي لم تمنع الموت عنه.

---

١) الديوان، (ص:٢٤٥).

٢) المصدر السابق.

وبعد هذه التحليلات فإن من حسن الختام أن يختم الشاعر قصيدته بالنداء وذلك عندما يأتي النداء موافقًا لغرض القصيدة، كما مر في التحليلات السابقة.

***

الخاتمة

هذه الدراسة تعد محاولة متواضعة، لكشف بعض مواطن الجمال في بعض قصائد أبي فراس الحمداني التي افتتحها أو اختتمها بالنداء، وقد اعتمدت فيها بعد توفيق الله – عز وجل- على الفهم والذوق، وقد خرجت من ذلك بالنتائج التالية:

- استهلال أو اختتام أبي فراس لبعض قصائده بالنداء؛ لا سيما الروميات، ناتج عن معاناته ومكابدته في هذه الحياة، فخاطب سيف الدولة، وخاطب أصدقاءه، طالبًا المساعدة بطريقة مباشرة وغير مباشرة، ومن أبرز صور المعاناة التي واجهها الشاعر في حياته: طول انتظاره في الأسر، بعيدًا عن وطنه وأهله، لا سيما عندما تأخر سيف الدولة في افتدائه، وهو الفتى المدلل، والفارس الشجاع، فإعراض سيف الدولة عنه بعد تدليله، بالإضافة إلى شجاعته وفروسيته، التي خنقت خلف قضبان الأسر؛ جعلته في مأزق عظيم، يدفعه إلى مناشدة سيف الدولة من خلال ندائه، بل نداء كل شيء حوله؛ كي يخفف عن نفسه ألم تلك المعاناة.

واخيرًا أوصي الباحثين بالتركيز على الدراسات التطبيقية المتعلقة بفنون البلاغة، وإبراز الظواهر والسمات لتلك الفنون؛ لأنها تمكن الباحث في مجاله وتنمي مهاراته.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

ثبت المصادر والمراجع

١. أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل، النعمان القاضي، (طبعة دار الثقافة، ١٩٨٢م).

٢. أدباء العرب في الأعصر العباسية، حياتهم – أثارهم – نقد آثارهم، (مكتبة صادر، بيروت، ط٤).

٣. البداية والنهاية، ابن كثير، (دار الفكر، ١٤٠٧هـ).

٤. بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، تحقيق: د. سهيل زكار، (دار الفكر).

٥. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق: د. بشار عوَّاد معروف، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ).

٧. تاريخ الرسل والملوك، وصِلَة تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي)، (دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ)

٨. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م).

٩. الروض المعطار في خير الأقطار، أبو عبدالله الحميري، تحقيق: إحسان عباس، (مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م).

١٠. زبدة الحلب في تاريخ حلب، ابن العديم، وضع حواشيه: خليل المنصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ).

١١. الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، يوسف البديعي، (المطبعة العامرة الشرفية، ط١، ١٣٠٨هـ).

١٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ).

١٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ.

١٤. فنون الشعراء في مجتمع الحمدانيين، (عالم الكتب، بيروت، ١٩٨١م).

١٥. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ).

١٦. محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٦م).

١٧. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ).

١٨. معجم البلدان، ياقوت الحموي، (دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م).

١٩. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جمال الدين بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ).

٢٠. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط.١، ١٤٠٦هـ).

٢١. الموازنة بين الشعراء، زكي مبارك، (دار الفكر، ط٢، ١٩٣٦م)

٢٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر).

٢٣. نشوار المحاضرة وتاريخ المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، (دار صادر، بيروت، ١٩٧١م).

٢٤. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي.

٢٥. وفيات الأعيان، بن خلِّكَان، حققه: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر).

٢٦. يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ).